



إن المتاحف في عصرنا هذا أصبحت من الضرورات الملحة بالنسبة للمجتمعات، كما أصبحت تعد من بين المنشآت التعليمية والتربوية والثقافية والعلمية التي يُفتخر بإنجازها. فالأمم المتحضرة في عصرنا هذا تتسابق في تشييد المتاحف والتنوع في اختصاصاتها باعتبارها من المنجزات الحضارية التي تساهم بقسط كبير في نشر الثقافة بين المجتمعات ودفع عجلة النمو الاقتصادي.

واجهة متحف بريتش ببريطانيا

وعلى سبيل
الذكر دون

المقارنة، أن بالولايات المتحدة الأمريكية قفز عدد المتاحف من خمسة آلاف في سنة 1965 إلى أكثر من سبعة آلاف في سنة 1974 ، ويعد متحف الميتر وبوليتان من أكبر المتاحف بهذا البلد ويستقبل سنويا أكثر من ستة ملايين زائر، وأكثر من ألف تلميذ يزورونه كل نهاية أسبوع، فأين متاحفنا من هذه الأرقام ... ! أما بأستراليا فيشيد في كل عام متحف، وفي هذا المجال أنفقت كندا أموالا طائلة لتشيد مثل تلك المنجزات¹، وقدر عدد المتاحف بالمكسيك سنة 1968 م بحوالي مائة وواحد وتسعين متحفا ليقفز بعد ذلك إلى خمسة مائة وإحدى عشر بعد عشرين سنة من التاريخ المذكور أعلاه⁽²⁾.

لم يقف تشييد تلك المباني عند كونها مجرد بنايات تضم مجموعة من التحف بل صحب هذا الثراء تنوع كبير من حيث هندسة المتاحف المعمارية حتى تتناغم ومحتوياتها وبيئتها المحيطة بها، من جهة، ولتوفير جوا من الأمن والسلامة لما تحتويه من كنوز إنسانية، من جهة ثانية. وصحب هذا الثراء أيضا تنوع كبير من حيث تخصصها . فنجد هناك ما يعرف بالمتاحف المركزية، وهي التي تعطي نظرة شاملة ومتكاملة عن أرجاء الوطن، والمتاحف العلمية والتقنية والمتخصصة في موضوع واحد مثل متحف الشمع (La Cire) بفرنسا، وفي هذا الإطار يمكن إدراج ما يعرف بمصر متاحف الرموز، ثم هناك المتاحف الجهوية التي تعد مرآة عاكسة للمجتمع المحلي حيث تمد الزائر بمعطيات مختلفة حول منطقة واحدة سواء من الناحية الجغرافية أو الاقتصادية أو الثقافية.

وأحسن مثال عن أنواع المتاحف هو ذلك الابتكار الجديد باليابان أو ما يعرف بالمتحف الذكي، ويقصد به ذلك

المتحف الذي يستطيع أن يتحكم أليا في إدارة المتحف والمعروضات بشكل دقيق ومنظم ، مع المحافظة على سلامة التحف أليا وتقديم معلومات دقيقة وسريعة بواسطة الحاسوب ووسائل الاتصال الحديثة⁽³⁾.

إن الهدف من تنوع وتعدد تخصصات المتاحف تكمن في محاولة إدراج المتحف وإعطائه مكانته الحقيقية كمؤسسة علمية وتربوية وتعليمية وترفيهية داخل المجتمع. ولعل الأسئلة التي تتبادر إلى الأذهان قبل الخوض في هذه النقطة بالذات هي : ما هو المتحف في نظرنا الحالي وما هو الدور المنوط إليه في زحمة هذا التطور التكنولوجي الهائل ؟ كيف نجعل من أبنائنا يهتمون بمعرفة ماضي أجدادهم وما قدموه من خلال محتويات المتحف ؟ ماذا يقدم المتحف لهذا المجتمع ونحن نشهد ثورة استهلاكية همها الأكل والشرب والملبس ؟ ما ينتظره المتحف من المجتمع ؟ في أي خانة من المؤسسات يمكن تصنيفه ، مؤسسة اقتصادية أو ثقافية أو علمية ... ؟ أسئلة عديدة هي مطروحة على بساط البحث ، يجب على ذوي الاختصاص ان يساهموا في إيجاد حلول مناسبة .

إن التعريفات التي يسوقها بعض الأفراد في مجتمعات مختلفة، والمجتمعات النامية على وجه الخصوص هي كثيرة ومتنوعة المفاهيم. فهناك شريحة من المجتمع لا تفقه معنى للمتحف إطلاقا، وهناك شريحة أخرى لا تزال تعتقد بأنه

¹-P26, G.Ellis Burcaw, Introduction to museum work , AASLH Press , Nashville , Tennessee , 1983

²- ي. هيرمان ، لوحة زيتية جديدة لعبقرية جديدة مبدعة : اتجاهات معاصرة في فن عمارة المتحف ، ترجمة حسن حسين شكري، مجلة المتحف،

العدد 164، اليونسكو ، 1989، ص.7.

³- ميزوشيما (أ) ، ماذا نعني بالمتحف الذكي ، ترجمة عبد الرحمن أحمد ، مجلة المتحف العدد 164، اليونسكو 1989، ص52

من الأماكن المحرمة لأنه يحتوي على تماثيل وصور بإمكانها صد الناس عن عبادة الخالق، وهناك فئة أخرى ترى بأنه هو المكان الذي يوضع به الأشياء العجيبة والقديمة من قبيل الحنين إلى الماضي لا غير، وعندئذ يعرف باسم "دار العجب"¹. إن هذه التعريفات في الحقيقة هي مفاهيم خاطئة ولا تمت للمتحف، بصلة سواء من جانبه الاجتماعي أو العلمي، ولذا فإن من الأجدر تغيير هذه التعريفات من أذهان الناس واستبدالها بمفاهيم تخدم المتحف ورسالته النبيلة. فالمتحف لم يعد ذلك المكان المقدس الذي تعبد به ربات الفنون التسع كما كان عليه سابقاً أو مكان تخبأ به اللقى لأغراض يرمى من ورائها التعريف بممتلكات صاحبه والتباهي بها أو خوفاً من سرقتها وضياعها. إن هذه الفكرة كانت في حقيقة الأمر مرحلة من مراحل المتحف عند بداية ظهوره. فالإنسان عبر مراحل الزمنية وبحكم غريزته كان شغوفاً بجمع كل ما كان يلفت نظره، وبعد عملية الجمع بدأ يختار من تلك المجموعات كل ما يبدو له جميل ليبيّن ما اختاره في الأخير إلى العالم المحيط به في شكل مواد تزيينية أو دينية أو اقتصادية أو طبية أو مجرد هواية.

فكرة الجمع ظاهرة تضرب بجذورها في عمق التاريخ، وتواصلت هذه العملية فيما بعد من طرف ما يطلق عليه بجامعي التحف أو الهواة، ليظهر إلى الوجود ما بين سنتي 1677م و1688م وهو متحف أو كسفورد، ثم تلاه ظهور عدد من المتاحف عبر العالم، غير أن أبوابها كانت تفتح وفق شروط يفرضها المسيررون كتحديد الوقت والعدد أو فرض نوعية اللباس واليوم... الخ².

أما بالنسبة للوطن العربي فقد ظهرت المتاحف متأخرة مقارنة بالبلدان الأجنبية، ويعتبر متحف بولاق بمصر أول متحف عرف في العواصم العربية، وذلك سنة 1858م. تلاه ميلاد عدد كبير من هذه المنشآت عبر البلدان العربية كمتحف باردو بتونس سنة 1888م³ والمتحف الوطني للآثار بالجزائر سنة 1897م⁴ ومتحف بغداد سنة 1925م ومتحف الآثار الكلاسيكية بليبيا سنة 1919م⁵ والمتحف الوطني بدمشق سنة 1936م⁶.

إن المتحف حسب المفهوم الحديث هو بناية أو مكان يحتوي على وثائق تاريخية أو أثرية أو فنية أو علمية أو أنتوغرافية لغرض حفظها ودراستها وتثقيف المجتمع والتمتع بها. ويعرفه المجلس العالمي للمتاحف " بأنه مؤسسة دائمة دون هدف تجاري مريح، تحتوي على مجموعات من التراث الحضاري لمجتمع ما سواء كانت تاريخية أو أثرية أو أنتوغرافية أو علمية أو فنية لغرض الصيانة والحفظ والدراسة والتربية والتمتع"⁷. ويدخل ضمن هذا التعريف في حدود نشاطاتها كل من حدائق الحيوانات ومشاتل النباتات والمكتبات والمواقع الأثرية ومراكز الأرشيف... الخ، شريطة أن تخضع لزيارات منتظمة من طرف الجمهور. لأن المتحف لا يفتح أبوابه للزوار وإنما وجد للزوار وبدونهم يفقد معناه. فلقد أصبح المتحف الآن على حد قول موريس ليفي (M.Levy) أداة لإثارة اهتمام الجمهور بجانب من الجوانب، كما أنه يعد عاملاً من عوامل التنمية الاجتماعية والاقتصادية بدون منازع. وتتطبق هذه الفكرة مع ما أسفر عنه الاجتماع الإقليمي بسنتياغو (عاصمة الشيلي) سنة 1972م، حيث توصل خلاله إلى " أن المتحف بصفته مؤسسة يجب أن يقوم بدور أصيل ومنتظم في حياة المجتمع المحلي الذي يخدمه " ومن هذا الجانب يجب أن ينظر إلى المتحف لا غير.

1- حملاوي (ع)، "المتحف والمجتمع الجزائري"، الملتقى الوطني "المتحف... أبعاد متعددة" وزارة الثقافة، المتحف الوطني، سطيف 24-25-26 أكتوبر 1994، ص 26.

2- الدباغ (تقي الدين) ورشيد (فوزي)، علم المتاحف، ص 17.

3- حول هذا المتحف انظر: Le Musée de Bardo, Tunis, in Archeologia, n°242, Janvier 1980.

4- حول هذا المتحف انظر: بن ونيش، المتحف الوطني للآثار بالجزائر، وزارة الاعلام والثقافة،

5- العوامي (عياد موسى)، مقدمة في علم المتاحف، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان، ليبيا، 1984، ص 25.

6- حول المتحف الوطني بدمشق، أنظر، محمد أبو الفرج العرش و عدنان الجندي و بشير زهدي، المتحف الوطني بدمشق، دليل مختصر، دار الحياة،

1969،

7- نظام الآداب المهنية المجلس الدولي للمتاحف « نشر الوكالة الوطنية للآثار » مطبعة الشراقة 1991، ص 6. كذلك: G.Ellis

Burcaw, Introduction to museum work, p12.



صورة 3: متحف اللوفر بپريس

صورة 4: متحف برادو بمدرید

إن مكانة المتحف في المجتمع والعلاقة بينهما لم تكن وليدة الأمس ، فلقد طرحت خلال القرن 19م بألمانيا، وأعيد النظر فيها مرة أخرى وبكل جدية في المنتصف الثاني من القرن العشرين . ففي سنة 1977م نظرا وبصفة أدق كل من المعماري والمبرمج بتريك أوبيرن (P.OByrthne) والموسيقي والمبرمج كلود بيكيت (C.Pecquet) إلى مجموعة من الأسئلة تتمحور حول مكانة المتحف ودوره بالمجتمع. ومن هذه الأسئلة هي: -هل يجب أن يصبح المتحف عاملا أساسيا في التنمية الاجتماعية والاقتصادية، أم يكون مؤسسة ذات أهمية هامشية لا تهتم إلا بالرفاهية ؟ -هل يجب أن يزيد المتحف في الوعي المشترك، ومن ثم التقارب والتفاهم بين الجماعات المختلفة للكائنات البشرية ، أم يكون مع ذلك دعامة قيمة ومتينة للاقتصاد بالمعنى الأرحب للتنمية من حيث هي كل ؟-هل يجب أن يكون المتحف مجرد مؤسسة خاصة مصممة لإبهاج أعظم العقول المثقفة أم يكون أداة لتعليم عامة الشعب ؟-هل يجب أن يصبح المتحف مركزا للنشاط الثقافي أم مؤسسة مدخرة للسياح ؟

وبعد مرور عامين أثار هـ.دوفارين (H.De Varine) نقطة رئيسية حين قال " إن التجارة والصناعة أخذتا في غزو الثقافة. وجمع الأعمال الفنية أخذ في أن يصبح بشكل متزايد نشاطا تجاريا يحدث في بيئة للعوامل الثقافية والاقتصادية فيها أهمية معادلة، وتكون جزءا من نظام شامل يتأثر العرض والطلب فيه بالإعلان، وبوسائل الإعلام، وبضغط من جميع الأنواع¹ . وهو ما نلاحظه الآن لدى بعض الأوساط حيث أصبح العمل الفني عاملا تجاريا يخضع فيه لنظام العرض و الطلب. وفي هذا السياق، أي مكانة المتحف، كتب أيضا أ.دين (A.Dean) حول تنمية المتاحف واستخلص في الأخير إلى أن "تحويل المتاحف من مستودعات إلى مراكز اجتماعية-ثقافية للجماهير، قد جعلها من قبيل العمل التجاري التنافسي بضراوة، وكانت أعظم حجة مقنعة لها، هو أن هذا التحويل قد أتاح لمدينة ما زيادة عوائدها ورفع مكانتها وتوسيع صناعتها السياحية "

وهنا يجب أن يلعب الجانب المعماري للمتحف دورا حيويا ورئيسيا يستجيب للبيئة الموجود بها من جهة ومحتوياته من جهة أخرى . وينبغي أيضا أن يكون هذا التحويل إلى شيء لافت للنظر وغير مدهش أو غريب ، حتى يصبح وسيلة جذب ومصدر لمتعة الزوار مثله مثل الأعمال التي يحتويها . فالعمارة المتحفية الحديثة أصبحت هي الأخرى فنا قائما بذاته تنصهر فيه أفكار وحقائق وقيود المحافظ وعبقورية المهندس ومهارة المهندس المعماري. فكما يقول هولين (Hollein) "إن المتحف مؤسسة تحدث فيها أنشطة عديدة ، يخلق فيها المهندس المعماري . عملا فنيا يتمتع بالاستقلال الذاتي عن عمد، للأعمال الفنية و الإنسان." و على هذا الأساس أصبح الآن الاهتمام بالمتاحف ضرورة ملحة. و يكفي أن نذكر في هذا الإطار أن متحف الميتروبوليتان بالولايات المتحدة يستقبل سنويا أكثر من ستة ملايين زائر، و أكثر من ألف تلميذ يزورونه كل نهاية أسبوع، فأين متاحفنا من هذه الأرقام .

إن المتحف، باعتباره مؤسسة تثقيفية وتعليمية وترفيهية تفتح أبوابها إلى فئات مختلفة من المجتمع دون تحديد النوع أو السن (صورة 5)، أصبح يندرج ضمن المؤسسات الثقافية التي تساهم في تثقيف المجتمع وتنويره وتعليمه وتسليته، فهو أداة ربط بين الماضي والحاضر، فالحاضر يستقرىء الماضي ويستنبط منه ما يفيد الحاضر والمستقبل. وهنا نتساءل كيف يمكن للمتحف أن يكون على علاقة مباشرة مع المجتمع بمختلف شرائحه، وكيف يمكن كسب ثقة هؤلاء وإرضائهم بدون استثناء؟

إن علاقة المتحف بالجمهور تبدو سهلة للغاية، خاصة إذا حرص المسؤولون على تحقيق ذلك. فإشراك الجمهور في إنجاز برامج المتحف الداخلية أو في عرض ينوي القيام به أو إعلانه عن حاجة يعرف الساهرون على المتحف

¹-نقلا عن هيرمان ، لوحة زيتية جديدة لعبقيرية جديدة مبدعة : اتجاهات معاصرة في فن عمارة المتحف ، ترجمة حسن حسين شكري، مجلة

إن عددا من الأشخاص يملكونها، تعد من العناصر الأساسية لإدماج المتحف ضمن المجتمع وربط عرى الصداقة بينهما. و يكفي أن يتوج هذا العمل في الأخير بتوجيه رسائل شكر للمتبرعين أو المشاركين أو تكتب أسماؤهم في مجلة المتحف أو تعلق بداخله جزاء لهم على ما قدموه فإن ذلك يبعث في نفوسهم شعورا بالمتعة والسرور، وتكون هذه العملية في نفس الوقت بمثابة وسيلة إشهار ودعاية للمؤسسة بين صفوف أهالي وأصدقاء المتبرعين. و يسعدنا ان نقدم في هذا الإطار التجربة الرائدة التي يقوم به طاقم المتحف الوطني للآثار هذه الأيام من أجل إحياء مناسبة اليوم العالمي للمتاحف لهذه السنة.



صورة 5: تلاميذ المدارس يؤدون زيارة إلى المتحف الوطني بالبحرين .

ويختلف الأمر بالنسبة للتلاميذ وطلاب الثانويات والجامعات، حيث يعتبر المتحف بالنسبة لهؤلاء مخبرا يزاولون فيه دراستهم الميدانية، وتبعدهم عن جو القاعات التي يقضون فيها ساعات طويلة بين جدرانها كما تقدم لهم حقائق مجسدة بأبعادها الثلاثة عكس ما يرونها مرسومة على صفحات مقرراتهم المدرسية. ولتحقيق هذه الأهداف على مسؤولي المتاحف أن يربطوا الصلة بينهم وبين تلك المؤسسات وإخبارهم بجدول فتح المتحف. كما يجب أن يسهروا على السير الحسن لمثل تلك الزيارات من حيث تنظيمها، كأن يختار الوقت التي تقل فيه حركة الزوار الآخرين وبذلك تركز الجهود نحو هذه الفئة، والإعداد لها فيما يتعلق بالمرشدين الأكفاء لأداء هذه المهمة. وعلى هؤلاء الأخيرين أن يكون يتحلوا بالصبر تجاه سلوك الأطفال المزعجة أحيانا وأسئلتهم الامتناهية، كما يجب أن يكون قادرا على السير والوقوف لمدة طويلة، و ملما بأساليب التربية والتعليم ، كأن يستعمل طريقة تجعل التلميذ يستنتج من تلقاء نفسه أكثر مما يقدم له. ومن الطرق الحديثة التي تلفت انتباه هذه الشريحة هو تزويد قاعاتها بأجهزة الكمبيوتر تمكن الزائر من استخدامها بطريقة بسيطة وسهلة للحصول على معلومات تخص التحف الأثرية المعروضة بالمتحف، كما زودت بالألعاب ترفيهية مسلية للأطفال ذات صلة مباشرة بالمعروضات(صورة6)،¹

¹ -صاحب السمو الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسمي ، " المتاحف وجدت لتكون مدرسة لأبنائنا والأجيال القادمة " ، أنباء المتاحف العربية ، توصيات المنتدى الثاني للجنة العربية للمجلس الدولي للمتاحف ، من 01 إلى 05 جوان 1998 ، تونس ، ص 09 .



صورة 6 : أدوات ووسائل ترفيهية مخصصة للأطفال داخل المتحف

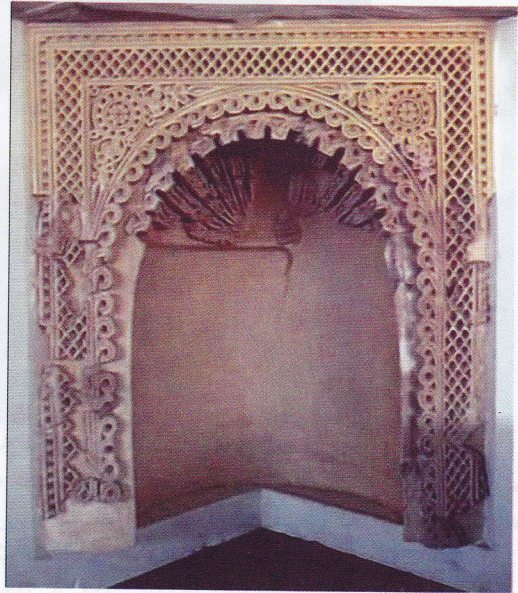
إن دور المتحف وما يقدمه من خدمة للمجتمع لا تقف عند هذا الحد فحسب، بل تتعداه إلى أبعد من ذلك، خاصة إذا حظي بالاهتمام والعناية. فالمتحف بحاجة إلى المجتمع، وزيارات أفرادته تعد نجاحا باهرا له، وإلا مالفائدة من إنشاء متاحف ضخمة تصرف عليها أموالا طائلة، ونملؤها بالمقتنيات المختلفة وقد تكون النادرة دون أن يلتفت إليها أحد حتى من باب الاطلاع. فالسؤال الذي يطرح مرة أخرى علينا هو، هل يمكن أن تكون للمتحف مكانة بيننا؟

لقد رأينا من خلال تتبعنا لنشأة المتحف أنه كان في البداية عبارة عن مخزن تودع فيه التحف خوفا من ضياعها أو لبيان شراء مالكيها. أما الآن فقد تعدى دورها إلى أبعد من ذلك، حيث أصبحت تدرج ضمن المؤسسات الثقافية التي تساهم بقبسط وافر في تطوير الفكر البشري للمجتمعات، وذلك بتقديم الآراء والأفكار للزائرين المترددين عليه بين الفنية والأخرى. فدور المتحف اذن يهدف إلى إبراز ما خلدته الحضارات وتقديمها إلى أكبر عدد ممكن من الجمهور حتى يتعرف الفرد على ماضيه العريق ومصادر عالمه الواسع.

ولن يستطيع المتحف بلوغ هذا الهدف الأسمى إلا إذا سهر مسؤوله على عرض مقتنياته بشكل جذاب وشيق وتنظيم قاعات وطرق عرضه، وإقامة معارض مؤقتة من حين لآخر ليأفت نظر الزائرين إلى محتويات معرضه الدائم أو لإثارة احساس الجمهور والمختصين معا في حالة حصوله على مادة جديدة، أو اللجوء إلى المعارض المتنقلة مثل التجربة الرائدة التي قام بها المتحف الوطني للآثار خلال السنوات الفارطة والمتمثلة في ما أسماها بالحقيبة المتحفية. فقد كانت فعلا تجربة ناجحة مكنت تلاميذ المدارس والثانويات من التعرف على المتحف وأهم ما يشتمل عليه من تحف.



صورة 7:
مشكاة
من القرن
11/15م



صورة 8: إناء ذو زخارف تحت الطلاء
(المتحف الوطني سيرتا)

من مدينة سدراته (المتحف الوطني للآثار)

هكذا نرى اذن، أن المتحف أصبح يمثل همزة وصل بين ماضي وحاضر الإنسان. وما انفكت جهود بعض المنظمات سواء العالمية أو غيرها وجهود الباحثين تتواصل حتى يتمكن المتحف من احتلال مكانته في المجتمع وأداء دوره ورسالته النبيلة كما ينبغي.